

**وجيه البارودي عانى قسوة الفكر وقيد العادات  
المجتمعية وبقي طوال عمره في حب المرأة**

سوسن صيداوي



مهمما كانت المهنة، فلابد من موهبة كي تقد شعلة الإبداع.. إذاً المهنة ليست بعائق ولطالما عرفت المجتمعات أصحاب مهن متعددة، نجحوا في مجالات فنية وابداعية، منها استبصروا الواقع، وغاصوا في الأنوار وكشفوا عن خفايا الذات من أحاسيس ومشاعر، تفاعل مع مرضاتهها من الظروف المحيطة، منتجة وبحسب المجالات المتعددة ومنها الشعر، كلمات وأحاسيس، تصل إلى الآخر وتفاعل معه سواء من حيث الفكرة أو الشعور. إذاً فالشعر ليس مهنة يكسب منها المرء قوته ويقتصر نشاطه عليها ولاسيما في عصرنا الحديث، والأسماء تكثر في مجتمعنا العربي قديمه وحديثه منهم ابن سينا وابن زهر وشاكر مطلق، وأيضاً في عصرنا تكثر أسماء الشعراء الذين يزاولون مهناً آخرى ولكنهم وظفوا موهبتهم الشعرية في خدمة قضايا العامة منهم إبراهيم ناجي وعلى ناصر ووجيه البارودي، الأخير الذي تناهى عنده شخصية الطبيب في شخصية الشاعر العاشق والتأثير على الجهل والفقر، هذه الشخصية وغيرها من الإشكاليات كانت من محاور الندوة التي حملت اسم الشاعر «وجيه البارودي... طبيباً وشاعراً وإنساناً»، أقيمت برعاية وزارة الثقافة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق.

# د. الشطي: البارودي قصيدة عشق وباقاة ورد وسمع دكيم

البارودي، قال في: (نحن لا نحبه في حماة، لأنّه هجا  
حماة). وفعلاً جاء أحمد طعمة بنسخة من ديوان  
الشاعر وأهدى إياها. وعندما قرأت، جاءني استغراب  
شديد اللهجة، بأنّ يقال عن وجيه البارودي بأنه شتم  
حماة، وهذا تأتي على قضية العادات والتقاليد، فكثير  
من الناس كانوا يقولون إن وجيه البارودي كان ضد  
الدين، وكان ضد حماة. هذه القضية يجب أن تتفق  
عنهما، وجيه البارودي عندما تحدث عن حماة-  
بالفعل هذه النصوص بحاجة إلى دراسة- هو لم  
يتناول حماة المدينة، ولم يتناول العادات بوصفها  
تقاليدنا ديناً، وإنما تناولها بوصفها عرفاً اجتماعياً،  
فمن مثنا ليس ضد السحر والشفاعة، ومن مثنا ليس  
ضد الجهل، فإلى اليوم تفوق بالثبات شعوبات،  
فهل هذا يعني إن قلتنا... بأننا ضد مدتنا؟ حورب  
البارودي على أنه هجا حماة وهذا كلام غير صحيح،  
لأنّ من يهجو بلد لا يسكنه. وهذا الرجل جاء وعاش  
في حماة، وداوى المرضى، وكان يعاين الفقراء من  
دون أن يأخذ أجرًا وحتى كان يعطي الدواء لهم،  
ورغم كل احتوائه لأهل مدنته-بحسب قوله- في  
الانتخابات لم يفز إلا بصوته، ولم يحصل على أي  
من أصوات أهل حماة.ليس من حقه أن يتحدث عن  
هذه البنية الاجتماعية المتركة التي لا تقدر العلم،  
وإذا تحدث هل يقول إنه ناكر لحماية وناكر لمدينته،  
وهنا لا بد من التأكيد أن الشاعر خطابي وتصل رسالته  
مباشرة، وحتى في ديوانه الأخير «سيد العاشق»  
هناك قصيدة لحماية، هو لم يهجها بل يريد أن تكون  
حماية ظلية، وهذا الإشكال الثاني الذي نتوقف عنده هو  
 وبالغضب. أما الإشكال الثاني الذي نتوقف عنده هو  
المرأة، فعندما تسأله يقول: (زيارة قباني شاعر الحب  
وأنا شاعر العشق)، فسألته (ما الفرق بينهما؟)، فقال  
(قصيدة زيارة قباني لكل امرأة، في حين قصائد لي لامرأة  
واحدة هي امرأة وجبيه). فالإشكال بأننا نجد في كل  
القصائد وحتى بالاسم، فشعر الحب لديه هو شعر  
مغامرة خاص وهو لا يكتب إلا عن مغامرته».

جواب اذکار

في ختام الندوة تقدم د. محمد اياد الشطي ووزير الصحة الأسبق، بداخلة صغيرة أوجز فيها عمق محبته وتقديره لقامة الدكتور والشاعر وجيه البارودي، قائلاً: «تحتاج لجراة كبيرة بيان تتمكن من الكلام، بعد ما سمعناه من طيب الكلام ونقاوة الكلام، لذا أحاول أن استعين بذكري لأن ذكر أربعية أو خمسة أسطر، في حفل تكريم الكبير الراحل البارودي، والتكريم كان بعد أن مضى عليه تسعة وخمسون عاماً من الممارسة الطبية وليس ستين عاماً، إذ إنه أصيبي في ذاك الشتاء بنزلة ذات رئة حادة جداً، فخفت أن يأخذ الله أمانته، لهذا تم تكريمه. أحاول أن أذكر، يعتقد بعض اللغوين أنهم قادرون على أن يختاروا اللغة العربية بجمل أربع، فهو يستطيع أن اختزل هذه القامة باربع جمل: ياسيدني أنت قصيدة عشق، وباقاة ورد، ومسمع حكيم، وأياد بخضاء من زمن المرسلين الأنبياء».

فهذه النقاط شغلت وجهه منذ تجاريته الشعرية المبكرة، واستمرت معه حتى السنوات الأخيرة في حياته، وظل يعذب بذلك ولكنه كان يواجهه بجرأة، وقوسورة وعنف، حتى تم الاعتناء عليه شخصياً في الأربعينيات عندما هجم عليه مجموعة من الرعاع على منزله فلم يجدوه فخطوا باب منزله وذبحوا حيث أخبروهم أنه في المقهى، ولكن شاعت الظروف أن يفر من وجدهم ولا يقع في قبضتهم، لكنه هاجم بقصيدة مشهورة. ولكن خفف البارودي من حدة صراحته لذلك عندما طبع ديوانه الأول وأعاد طباعته كان قد حذف قصيدتين من الديوان، لأنه خشي من خصوم هاتين القصيدتين فكريًا، فنجد أن وجهه بدأ يتراجع عن مواقفه السياسية والاجتماعية والفكريّة المباشرة كي يفرد للغزل المساحة الأوسع، فجاء ديوانه الثالث وديوان «سيد العشاق» بإن موضوع الغزل يهيمن على ديوانه، ولكن علينا أن ننتبه أن غزل وجهه لم يكن رأية استسلام بيساء، ففي هذا الغزل بين سطوره حقيقة تمرد القديم، فهو عندما يتحدث عن المرأة إنما يتحدث عن القضايا الكبرى التي آمن بها، لذلك هو عندما يطالب بأن تكون المرأة أقرب إلى العقل والقيم فهو يريد لبلاده أن تكون الأقرب إلى العقل والأكثر حضارة.

كان هؤلاء الزملاء بالصادقة هم حافظ العراق، وإبراهيم طوقان من فلسطين خ من لبنان، هؤلاء الأربع شكلوا الندوة الجامعية الأمريكية، وهم من ألغوا ديواناً شاملًا فيه قصائد الفها بعضهم بالمشاركة، من تجربة إبراهيم طوقان الفلسطيني قد رحها تجربة الشاعر البارودي، فكتب متفرقة متعددة ثبت قسمًا منها الدكتور ممتباة بين إبراهيم طوقان والأدباء رسامه بينها مع وجهه البارودي، هذه بكرة لأبد أن تضيف إليها تجربة صداقته بين الحامد ابن مدینته حماة، والذي كان يو ثقافي سنوات، فكان ينشد كل منهما شعر، ويتحاوران حول الشعر والأدب في لا يمكننا أن ننسى أن تجربة بدر الدين بيبة من تجربة إبراهيم طوقان، لأن بدر للدراسة في الكلية العربية في القدس، في دراسته في بيروت اتفق على الثقافات على صلة الثقافة العربية بالفكر التحرري ذلك كان هناك شيء من الصدام بين تعلق أطلع عليه في الكتاب المaldoس الأولى

على حين توقف مدير التدوة د. إسماعيل مروة في مداخلته للحديث عن الإشكال في شعر وجيه البارودي، مشيراً إلى أن الإشكال له قسمان، متابعاً: «عندما كان طالباً في الجامعة، كان لنا صديق في الجامعة اسمه أحمد طعمة، فعندما سأله عن وجهه

ولد وجيه البارودي في عام ١٩٠٦ في حماة، في كنف عائلة ميسورة كانت تعيش في ظل مجتمع تقليدي منغلق تحكمه العادات والتقاليد الموروثة ذات الطابع الديني والإقطاعي، وعلى عادة الأسر الغنية آذنال أرسل وجيه إلى (الكتاب) كي يتنقل بالمراحل العمرية والدراسية بعدها متابعاً تعلمه، ويسبب الظروfs، في الجامعة الأمريكية في لبنان، وحول نشاته وأمور أخرى تحدث في الندوة الدكتور نزار بريك هندي: «بدأت موهبة وجيه البارودي بالتفتح مع مواهبه زملائه في جمعية (دار الندوة) هؤلاء الزملاء الذين أصبحوا علامات بازرة في الشعر العربي الحديث... في هذه المرحلة فوجئنا شاعرنا بظهور غيرة وضعه الاجتماعي وأعادت صياغة علاقته مع عائلته ذات اللقب العربي، فقد فجّع بوفاة أبيه وقام أبوه بالزواج سريعاً مرة أخرى، وقام بحرمان وجيه وإخوته الأربع من الرعاية المالية ولاسيما بعد أن أفلست تجارة الأسرة... ولماشك أن ذلك ترك بالغ الآخر في تكوين شخصية شاعرنا الذي أقام عداوة بينه وبين المال، وبالتالي مال الشاعر البارودي إلى القراء الذين فيهim الحب الأصيل والأخوة التنبيلة، وعزم أن يوقف علمه وطبيه على خدمة القراء، وأن ينشئ بين الطب والفقير الفقة تنصره على الحشيش والظلم والغدر». متابعاً هندي في مكان آخر: ذلك أن وجيه كان يدرك أن رسالته الطبية لا تقتصر على معالجة الأمراض التي يصاب بها أبناء مدينته وريفيها، بل لا يلبّه من أن يعمل على نشر الوعي الصحي ومحاربة الخرافة والتديجي، وتعزيز ثقة الناس بالطبط القائم على العلم والتجارب الحديثة وإرشادهم إلى أساليب الوقاية والحد من انتشار الأوبئة، ربما هذا ما دفعه إلى كتابة مجموعة من المقالات الطبية ونشرها في مجلة (النواوير) التي كانت تصدر في حماة وذلك بعد وصول أفواج النازحين من فلسطين في أعقاب النكبة عام ١٩٤٨».

جدلية الشرق والغرب في شعر البارودي

من جهته تحدث خلال الندوة د. راتب سكر عن نشأة البارودي في شعره، وأسباب ميلوه نحو الغرب انسجاماً معه من حيث التقدم الفكري والتكنولوجي وغيره، وبما لوحت نفسه اصطدامه مع واقعه العيش قائلاً: «تعد تجربة الدكتور وجيه البارودي، الشعرية والطبية، من التجارب المهمة للدارسة الأبية والبحث الجاد، ذلك أن هذه التجربة انطلقت في مطلع القرن العشرين عندما كان وجيه البارودي تلميذاً في الجامعة الأميركية، عندما كان اسمها الكلية الإنجليزية في بيروت، وكانت تدرس حلقات التدريس الثانوية والإعدادية والإبتدائية. وقد التحق في هذه الكلية وهو في الثانية عشرة من عمره، ويزر بين تلامذة الكلية تلميذاً نبيها، فأسس مع زملائه من طلبة الجامعة الأمريكية في مراحل الثانية الندوة

أردد على الدوام قول شاعر الشام خير الدين الزركلي في

تجوه الخالدة مخاطبًا شامه وسورية بلوعة لا مثيل لها في فريدة من فرائد الدرر والقول (يا موطننا عبّد الزمان به / من ذا الذي أغري بك الزمان)، وكانت أقف عند مدلول أغري وتشعباتها، وهي المأخذنة من الإغراء.. وتتعود بي الذكرة إلى وقوفنا أمام دور السينما أيام زمان مع صور البارارات عربياً وعاليماً، وكل واحدة منها يرافق اسمها تعبير نجمة الإغراء، ولهذه الاستعمالات مفهوماتها السلبية التي تعود على الإغراء.. بل صرت أحافظ في استعمال كلمة الإغراء لاعتقادي بأن هذه الكلمة تحمل مدلولاً سلبياً.. فالدنيا إغراء، فالمال إغراء، والسلطة إغراء، وكل ما يجذب الإنسان رجالاً أو امرأة أو طفلًا هو إغراء، والإغراء يخرج عن الجادة.. وعندما كنت أبحث عن سبب يدفعني إلى أمر ما لا أجد سوى كلمة الإغراء مناسبة لما أنا فيه، فهناك شيء يغريني للوصول، وصار الإغراء يحمل معنى إيجابياً، فالعلم وإغراء والتحصيل إغراء، ولحظة العشق التي تترافق بدهشة اللحظة وخلودها إغراء، وللوصول إلى أمر ما لا بد أن يغريك حتى تسعى للوصول إليه، وفي كل مرة أحاول أن أبتعد عن استخدام الإغراء لما فيها من دلاله، وربما عاد أحذنا إلى استخدام تعبير آخر من الرغبة والحب والدافعية، ومع مرور الوقت وارتفاع منسوب الحصيلة اللغوية يكتشف المرء أن كلمة الإغراء أقل دلاله سلبية من الرغبة، لكن الاستعمال الدائم أوهم بغير ذلك.

وحين بدأت البحث عن السر في بعض ما يعراضني كانت كلمة الإغراء بين الكلمات التي أردت الدخول فيها، وعند كل حلقة من هذه السلسلة كان صديقي أبو الأديب سماحة المفتى العام يعطيبني وقتاً من وقته الشinin لمناقشة المادة بعد صدورها، سواء كان الرأي سليماً أم إيجابياً، وما من مرة مرت دون أن يقف متقدماً في جوابه ومشيداً في أخرى، وحين كان ينقاشهني فيما نشرت قبل أسبوعين قلت له إنني أبحث في الإغراء وسره، فوجدهت قلوب: يغريني هذا الأمر، والبحث فيه مهم، وكل الفضائل يجب أن تغري الإنسان الباحث، وأمام دهشتني قال لي: أبحث في الموضوع، فالإغراء لازم، والإغراء مذموم، واستدل على ذلك بما ورد في نص القرآن الكريم عن الغواية والغاوين.. وهنا قفت الفكرة واستأنذتها في أن أعمل عليها بطريقتي ولغايتي التي وضعتها للسلسلة فوقاً، وكأنه يقول هذه الأفكار وجوهها، فلم نبتعد عنها؟

هذا فهمت قول الزركلي على حقيقته، فما يمتلك وطننا من محاسن وجمال وخيرات جعله هدفاً وغاية وإغراء لكل ناظر إليه، فكان الزمن على امتداده وعظمته هو الذي يحسد وطننا وما يملك، ويغريه أن ينبع عليه بصمته ولو كانت سلباً، ومن هذا الفهم العقدي أخذت أندف إلى معنى الإغراء، والإغراء جذب، فأنت عندما تعانق صفة وجه الوطن وتقتدي بكل شيء، فإنما تفعل ذلك لأن ثمة ما يغري بفعل ذلك، وقد يكون ما يغري محبوباً عن الأعين والعقل.. وبالقابل فإن من يخن وطنه في الداخل والخارج فهناك ما يغريه لفعل ذلك من مكاسب وأموال وما شابه ذلك. والإغراء لا يقتصر على أمر ما، وإنما يمكن أن يكون عاماً ومعملاً على كل الأمور الإيجابية، فعندما يكون أمامك عالم ممizer من بشر أو غيره فإنه يدعوك إليه بداعٍ إغرائي ممizer، وحين تقترب من هذا العالم تبدأ كشف خطوطه وخيوطه لتصل إلى الجوهر، وفي هذه الرحلة الإغرائية يصل أحدهنا إلى عوالم من الإبداع والإدعاش لم يكن ليتخيل وجودها في الحياة عامة، ولكنك أمام لحظة إغرائة مهمة اكتشف، وربما اكتشف أيضاً أن كل ما عاشه من حياة وقناعات لا يصل إلى مستوى الدهشة التي حصل عليها في رحلته الإغرائية المهمة، أما ما يتطرق بما أغري المرء، فهو يشير إلى غنى مطلق، وربما إيمان مطلق، وربما دهشة تجاوز حد التصديق.. ومن هنا يمكن أن نفسر ما يدعى بالترغيب من باب الإغراء الذي يدفع رحلة من أمل بما يستحق فعل للحصول عليه أو للوصول إليه، ولو كان بعد رحلة من معاناة، ومنه يمكن أن نجد الإغراء أو ما يغري عاملـاً من تحويل الحياة إلى واحدة جميلة، وإلى أسلوب لتنظيم حياة الإنسان في رحلته الدنيوية.. أما أغري من أغري بأنهار العسل والحرق، وبدل أن يعمل للوصول إلى هذا الإغراء، استغقول في ظلم أخيه الإنسان الآخر، وأراد الاستثمار بكل ما هو دنيوي ملموس، وبكل ما هو خاضع لفكرة الإغراء بما ينتظر الإنسان!

ومن الإغراء ننتقل إلى مرحلة مذمومة هي الاستغفال، ومرحلة أعلى هي الإغراء، وشتان ما بين إغراء وإغواء، وأن الإغراء أمر محمود خصه للغويون بباب الإغراء، وذلك لمكانته في حياته، أما الإغراء فهو مرحلة من الضلال والغواية، وهو ما أشار إليه سماحته الصديق عندما فصل وسرد نصوصاً عديدة عن الغواية والغاوين والمغوي، فالإغراء دعوة للغوص في الجوهر، واستلال خيوط النور لظهور الطريق أمام من لا يرى، أما الغواية فهي ضلال وابتعاد عن الجواهر المغري، ويمكن أن استخلص هنا أن من لا يغري تكون غوايته قاتلة وسهلة، قاتلة له وللآخرين، وسهلة على المغوى... وهذا يعطينا تقسيماً ملزاً عن سبيل الهداية والحب، فهو ضل لأنـه غوى، وأنـه لم يدخل في مرحلة الإغراء، تلك المرحلة التي تستدعي الوصول إلى التفاصيل، وهنا قد تنقضى الأعمار، فتتضيـي عشرة آلاف سنة والإنسان يبحث في تفاصيل التفاصيل، وتنتهي الأعمار، والمرء يحاول اكتشاف كنه ما أغراه.

ليت تفاصيل التراب والأرض تغرينا

ليت تناطيف من نحب تطمرنا يا إغرائنا

ليت وليت لنبقى في تلافيف التفاصيل الموحية بالإغراء المطلق، هذا الإغراء الذي إن وقعا فيه وصلنا حد التماهي بما أغراـنا، وبنـتـعد عن الضلال والغواية، فاكتشاف الجمال واللون والنغم إغراء، هذا الإغراء يصل بـنا إلى الفهم الصحيح الذي يجعلـنا في

# عبد القادر الجنابي، فسحة للأفق في سديم اللغة

الإنسان انفصل عن عزنته مذ طرد من مركز الكون وهو يخوض أنطولوجيا ضخمة سماها «كائنات العزلة» ليبحث في عمق ذاته عن عزنته وعزلة الشعراء وأضاع نماذج لشعراء أجادوا التغريد عن العزلة المثلثة متربعاً بدقة وحرافية نصوصاً لكل من شارل بوليلر ونيتشه وعشور الطوبوي وجورج مينوا وكريستيان بوبان وسواهم. مضيقاً إلى الزخم الشعري الذي قدمه في حياته بدأ بديوانه الشعري «كيف أعادوك وهذا أثر فأسك ١٩٧٣» - ثم «في هواء اللغة الطلق ١٩٧٨» - «مرح الغربية الشرقية ١٩٨٨» مستمراً بإطلاق دواوين شعرية متباude المسافة الزمنية متبعاً أسلوب الشاعر الباحث خلف ستار الصوفية وهو ستار تعابيش فيه مع رغبته الدائمة في الانطلاق بقصدية النثر وربطها بأصولها الشعرية الغربية وانطلاقتها الحقيقة للأهداف الأخرى التي عاشت من أجلها غير قاطع شرایین التواصل مع الأوزان لرجل يعرف أصول النغمة ونغمات الحروف موشحاً كل ذلك برؤية فلسفية منطلقة من الصوفية والسوسيالية وكانت ي يريد لهذه التيات والرؤى والتشكيالت الفكرية أن تجتمع عنده ويعقد معها حلقة للنشوة بالشعر مطلقاً روح الأشياء شعراً أصيلاً بلا حدود.

A portrait of a middle-aged man with curly grey hair and glasses, wearing a maroon turtleneck sweater. He is standing in front of a bookshelf filled with books. The image is framed by a decorative border.

أحمد محمد السُّجَى

يعيش العراق تجربة السياسة المريئة منذ أن تشكلت دولة العراق، فيضفي العصف السياسي القاحل العطش على الأرواح التي تسكته، ويسكتها، ليتبولر ذلك قاسياً عند الشعراء تشرداً في الروح وهما يائياً متصاعكاً يصيّب المكان والزمان حيث لا شرق بعد العراق، ولا شرق قبله. في زمن كانت الشرطة تركل المواطن - الإنسان فتنتفخ الحادة لتلم شتان انتقامه مما كان، وسط هذه المرارة اليومية، ينطلق عبد القادر الجنابي متقدراً ومتنااغماً مع هارمونية الوحشة شاعراً يكتب حيث تتسع الكتابة للوجع، ويحيث تحشر السورياتية التي في مواجهة القمع. يسير مع جيل عرف الجليلة في مفهوم آخر حيث عرفهم: «لم تكن شيئاً، كنا نجهل كل شيء»، وفي الوقت ذاته تنبحر في كل شيء «الشاعر الذي ابتعد عما يكتبه العرب بلغتهم ليكتب بلغة مستقاة من تجربة الحياة للشعر الأوروبي، منحازاً إلى نوع بودلير منتقلاً في أسطرولوجيا موسعة ضمن كتابه: «ديوان إلى الأبد» (قصيدة النثر) / أسطرولوجيا عالمية» الصادر عن «دار التنوير» وحين يضع مفردة «معيارية» لوصف قصيدة النثر لقدم وحنته في قصيدة النثر تعييناً